تراث الثقافة الإسلامية

تاريخ المنطق عند العرب

تأليف

دكتور
محمد عزيز نظمي سالم

١٩٨٣

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٣٩٤٧٢ إسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . « آمين »

« صدق الله العظيم »

« رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى »

(١)

تصـــدير

وبعد . . فقد أتممت هذا البحث بعون الله ، وبحسن التوفيق والإشراف والتشجيع . فهذه صفحات تعرض لتاريخ المنطق عند العرب ، وإنى أخرجها بعد دراسة وبحث إنما أود أن أتشرف بتقديمها لأساتذتى وزملائى من دارسى العلم والفلسفة والتوحيد ومناهج البحث والتاريخ مصغيا لما يوجهون من نقد وتوجيه . كما أود أن أيسر الأمر أمام من تستهويه دراسة المنطق فى حقبة مزدهرة من تاريخ الفكر العربى كانت حلقة مفقودة بالنسبة للدارسين والمشرفين فى ميدان تاريخ الفلسفة والعلوم العربية والإسلامية .

ومما لاشك فيه أن التزامى ببرامج دراستى لهذا الموضوع . كان توجيها حميدا وفضلا كثيرا من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيـــة . وأساتذتى الأجلاء أعضاء لجنة الفلسفة والاجتماع . فقد كان لهم كل فضل ومعاونة صادقة لهذه الدراسة المتواضعة .

ولا يفوتنى فى هذا المجال أن أشكر صديقى اليوغوسلافيين الحاج مصطفى شيفا والحاج ساعتجيج من علماء الاسلام والاستشراق بالبوسنة والأستاذ فريتزشتيت أستاذ الدراسات الشرقية والإسلامية بجامعة برلين ، والادارة الثقافية بجامعة الدول العربية وسكرتارية المؤتمر الاسلامى .

كما أعبر عن خالص شكرى لاجلال ولمن وقف إلى جانبي وعاونني فى البحث .

وكانت تلك القوى التى تدفعنى فى بحثى وفى تذليل الصعاب التى جابهتنى مضرب الأمثال الطيبات . والتى أحفظ لها الود والعرفان بالجميل ، وبالدين العظيم .

والله أسأل الهداية والاخلاص فى العلم والعمل وأرجو أن أكون فى هذا البحث قليل المجانبة للصواب ، فالخير ابتغيت ، والحق سعيت ، والحكمة أردت .

وما أوتيت من العلم إلا قليلا ، وما توفيقى إلا من عند الله .

وعلى الله قصد السبيل وحسبي هو ونعم الوكيل .

(٢)

تمهيـــد

اختلف الباحثون بصدد دراسة المنطق ، فمنهم من عده مكملا للنص الديني ، ومنهم من حرم الاشتغال به (١) إلى حد القول المعروف «من تمنطق فقد تذندق».

ولكن الجدير بالاشارة إليه أن الذين انتقدوا المنطق القديم فى العالم العربى والشرق الإسلامى على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية قد انتقدوا المنطق الأرسطو طاليس القديم فى سبيل الدعوة إلى منطق دينى(٢) يحمى العقيدة ويدافع عنها و منطق دنيوى يدعو إلى التجريبية والاستقراء من ناحية أخرى .

إن شئت فقل أن المناطقة العرب والمسلمين قد تعرضوا إلى المنطق القديم بالنقد من وجهة نظر الدين فكان من الكلام وأصول الفقه . ومن وجهة نظر العلم فكان منطق العلوم ومناهج البحث .

ولقد حاولنا على سبيل الحصر أن نعدد المدارس المنطقية عند العرب نجد أن من أبرزها المدرسة المشائية (٣) والمدرسة الأصولية (٣) والمدرسة الجدليه (٤) والمدرسة العلمية (٥) والمدرسة الصوفية (٦) .

---

(١) فهرست المتون فى مجموع الخواص والفنون

(٢) ابن قتادة

ودراسة البحوث والمؤلفات والنقول والشروح عند المدارس السابقة تعكس بحق الحركة المنطقية عند العرب وتسجل تاريخا لعلم المنطق لدى المناطقة العرب والمستعربين ، منذ أواخر القرن الثانى الهجرى حتى نهاية القرن الثامن الهجرى أى مايعادل القرن السادس الميلادى والقرن الثالث عشر أى حتى العصور الوسطى، كحركة تمهيدية للاورجانون الجديد ومنطق الاستقراء البيكونى الذى ذاع صيته فيما بعد .

ولما كان التفكير عند العرب والمسلمين متعدد الجوانب ، فمنه الجانب الالهى والجانب الأخـــلاقى والجانب الصوفى والجانب العلمى والجانب الكلامى والجانب الفقهى والجانب المنطقى . ولكل جانب من هذه الجوانب عوامل أثرت فى نموه وتطوره .

فان غايتنا هى الوقوف على النتاج المنطقى عند العرب وقيمته وأصالتـه . كما أننا نهدف إلى التحقق من الكيفية التى نقل بها الأورجانون من اليونانية إلى العربية وما الحق به من اضافات وشروحات و تعليقات من خلال الترجمات والنقول إلى العربية . كما نهدف إلى العرض المحايد للنتاج المنطقى عند العرب من خلال تطوره ونشأته وذلك ببسط تاريخ المنطق عنـــد العرب بمختلف اتجاهاتهم وتياراتهم الفكرية والدينية وتبرز هنا المكانة الحقة للمفكرين تأدوا إلى طرائق جديدة فى التفكير المنطقى فى سبيـــل الدفاع عن الدين وفى الكشف واستقراء ميادين المعرفة والوجود .

فتاريخ المنطق كنوع من الدراسة العلميـــة ينطوى على اصالة التراث العقلى وعبقرية الانسان ودورها فى الحضارة ، وسيتضح بجـــلاء أن ماقدمه العرب العرب للانسان ولعلم المنطق على وجه التحديد من قيم علمية وابتكار مايحتم الباحثين

من الشهادة بقيمته وما ثره على المنطق الحديث عند جون ستيورت ميل وفرنسيس بيكون ، وسنقدم عرضا للاورجانون الارسطو طاليس القديم الذي كان مسيطرا على المفكرين والعلماء حتى العصور الوسطى .

كما نبين أن المناطقة العرب لم يعنوا بجانب من جوانب تفكيرهم بمثل ماعنوا به فى المنطق وطرائق البحث وفلسفات العلوم واكتشافهم لمنطق التجريب والاستقراء .

لقد كان المنطق عند العرب والمستعربين ضربا من ضروب المعاملة العاسة ويتميز عن سائر الجوانب من حيث تحوله واعتباره معيارا للعلم (١) ومحكا للنظر (٢) . وكل من التيارات والمدارس الفكرية والفرق والحلقات قد استعانت بأساليب المنطق واستخدمت العقل فى الدفاع عن الدين وفى البحث والكشف فى مجال العلم والمعرفة .

ونشير إشارات إلى العوامل التى كونته أو أثر فى تطوره خلال مرحلتيه . لأن لكل مرحلة طابعها وعواملها التى ساعدت على مايحفل فيها من نتاج على على نحو معين فتعرض لمرحلة ماقبل الاختلاط والنقل والترجمة . ثم لمرحلة الاختلاط والاتصال الثقافى .

ونبين أن المرحلة الأولى كان التفكير المنطقى بفطرته بسيطا يكاد يكون عربيا دار فى نطاق العقيدة الدينية ومسلمات الإسلام . وقد تكون هذه المرحلة مرحلة عزلة أو تمهيد لنشأة علم الكلام . وفى المرحلة الثانية نرى تطور المنطق عند

---

(١) الغزالى ـ القسطاس المستقيم

(٢) ابن سينا فى النجاة والشفا والاشارات والتنبيهات

حدث الاختلاط الثقافى فنشير إلى المنقولات من عناصر الثقافة الأجنبية وأبرزها كتاب الارجانون حتى يتضح لنا مصدر التأثير ومداه على نتاج المناطقة العرب - أى تعرض للترجمات المنطقية التي نقلت إلى العربية واشتغل بها المفكرون وذلك بطريقتين احداهما تعنى بالتلويح إلى أهم المسائل والنظريات المنطقية وموقف كل المفكرين أو النظار أو المشايخ من المناطقة العرب والمستعربين والمسلمين . .

والأخرى تعنى الاشارة إلى الشخصيات والآراء التى تعرضت لكل مشكلة منها . وهذا يعنى أننا نتناول الدراسة وفقا للمنهج الموضوعى والمنهج التاريخى معا . كما نعنى عناية خاصة بتطور علم المناهج وصلته بتاريخ العلوم العربية .

المرحلة الأولى فى تاريخ المنطق عند العرب

ونعنى بها مرحلة ماقبل الاختلاط أو الاتصال الثقافى . فقد كان التفكير عند العرب والمسلمين عربيا خالصا لم يحتك بأى تفكير آخر عن طريق مجالس البحث والمجادلة . وتحدد الفترة الزمنية ، منذ صدر الاسلام حتى منتصف القرن الثانى الهجرى . . أى من بدء عهد حركة الترجمة والنقل فى أواخر الدولة الأموية .

ونتناول بالبحث المسائل التى شغل بها نظار المناطقة والمفكرين خلال هذه الفترة ، مع الاشارة إلى العوامل التى ساعدت على وجوده ونمـــوه وأهم المسائل والآراء التى دارت والخصائص العامة والسمات والملامح الفكرية العامة للدراسات المنطقية .

وكانت نقطـــة البداية هى البحث فى الكثرة ومسألة الأقانيم والاجابة التى أوردها النص الدينى ردا على هذه المسألة ثم مسألة الخلافة ومسئولية الإنسان وارادة الله .

ولكى نتبين المؤثرات العامة والعوامل الأساسية ، ينبغى أن نتلمس ذلك فى التغير الذى حدث مما جد فى المسائل الأساسية من خلاف ونقاش فقد كان الخلاف أهم البواعث على ممارسة العمل العقلى واستخدام الأساليب الفكرية إلى جانب النص الدينى والحديث ، ومرجع هذا الخلاف إلى المواقف المتعارضة بين المهاجرين والأنصار حول مسألة دفن الرسول وإلى مسألة الخلافة والمتابعة . وفى اعلان الحرب على مانعى الزكاة أبان خلافة أبى بكر وفى مسألة الشورى . وما حدث من اغتيالات لبعض الشخصيات الاسلامية من الصحابة . إلى جانب هذه البواعث يوجد باعث من الأهمية بمكان وهو القرآن وما يبدو فى بعض آياته من تعارض ظاهرى . وهذا أدى إلى التعرض لمسألة خلق القرآن وكلام الله فاداهم أيضا إلى التعرض لصفات الله وذاته ووحدانيته .

كما نبين حدة الخلاف فى القرن الأول الهجرى منذ وفاة الرسول وما نجم عنه من وجود الفرق والطوائف والأحزاب. ويتضح أمامنا بجلاء أن التطور مفكرى من الأمور الجزئية والحادثات الجزئية إلى أمر كلى عام يشمل انقلابا وتموا مطردا فى جانب التفكير عند العرب . لكن بالرغم من هذا التطور ، فان المعالجة العقلية لما طرأ من مسائل ومشكلات لم تتخذ طابع العلم أو الفن . وإنما يمكن الحكم عليه بأنه تمهيد لنمط آخر .

وعلى هذا يمكن القول بأن المرحلة الأولى مرت دون أن تكون للعقلية العربية الطابع المنطقى فى معالجتها لمسائل الدين والدنيا ، وانما هى هيئة لطراز آخر من التفكير المنطقى . ويتضح هذا النمط من خلال المرحلة الثانية بعد ماحدثت حركة الترجمة والنقل . التى يمكن أن نقسمها إلى فترات :

(١) فترة النقل والترجمة والجمع والشرح .

٢ ـ فترة النقد والتحقق والهدم .

٣ ـ فترة البناء والانشاء .

ولقد تتابعت المراحل التاريخية على علم المنطق وامتدت حتى طلائع عصر النهضة واتصلت بمواكب الحركة العالمية والكشف العلمي . ولعبت دورا هاما وخطيرا فى ازدهار ونمو المعرفة والعلم فى شتى المجالات .

ونحن فى غمار حركة الوعى السياسى والتحررى فى هذا العصر ومن خلال معارك الاستقلال التى تخوضها الشعوب العربية من أجل كيانها و سيادتها ووحدتها وحريتها ، يجدر بنا ونحن أحوج ما يكون إلى أن نفهم ونعى ينابيع تراثنا الأصيل و نلقى إلى الماضى بنظرة واعية ونتمثل منه بها يفيض به من علم ومعرفة . وليس هذا الموقف موقف تراجعى ، ولكنه وعى بتراثنا و تلبيت له و تقييم جديد نفخر به ، فى ضوء النهار الساطع ... فى نور المعرفة العلمية الجديدة . لأن المعرفة هى مادة العلم والعلم لايقوم إلا بالفكر والتجربة . والمنطق طريق العلم وسبيله فى عالمنا الحديث ، فنحن نعود إلى تراثنا لنعى تاريخنا وخبراتنا التى ورثناها ، ونتيجة بطاقاتنا الثورية فى انطلاقة المستقبل الصاعد ، ونخلق فى فضاء المعرفة الفسيح ونستلهم من الماضى العبرة والتوجيه والنقد ونثبت الحاضر ونعلى من صرح المستقبل .

وإن حق لنا القول نقول أن تراثنا الفكرى مع مابلغه من منزلة عالية وعمق وشمول لايزال فى حاجة الى أن نفطن إليه وأن نفهمه ونتذوقه فى حركتنا الفكرية وفى ثورتنا الشاملة ، وأول الأمور التى نضعها فى الاعتبار هى أن نضع التراث العلمى عند العرب والمسلمين فى موضعه اللائق ونقيمه تقييما حقيقيا فتتبين دلالته من واقع حياتنا وفكرنا ومعتقداتنا ومعرفتنا وتاريخنا الحضارى الطويل . لأن الفكر والفلسفة والمنطق ليست ترفا عقليا بل ضرورات للحياة والواقع .

وليست هذه سوى صفحات تبرز الدور الحقيقي لقيادة الفكرية والمبادىء المستنيرة من تاريخ الفكر الإنساني وتاريخ الحضارة الأنسانية وليس أدل على دورنا من العبارة القائلة :

« وليس عبث أن الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي الذى أغار عليه الفصول الذين اكتسحوا عواصم الإسلام القديمة تراجع إلى مصر وآوى اليها فحمته مصر وأنقذته عندما ردت غزو المغول على أعقابه فى عين جالوت » .

« وما من شك فى أن الدوائر العربية أهم الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا ، فلقد امتزجت معنا بالتاريخ ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية .

فالفكرة الأساسية هى أن هذا المجهود ليس تأويل وليس مجرد أحياء لتراث العرب والمسلمين الحضارى وانما وعيا بتاريخهم الفكرى وجهود علمائهم ومفكريهم العظام من خلال صفحات التاريخ التى تشهد بصدق أن الحضارة العربية الإسلامية ومقوماتها التاريخية والمادية والدينية والفلسفة تمم اطلب المعرفة والعلم (١). وأن جوهر العقيدة لم يفرق بين العلم من وطن ووطن فكانت الرسالة الثقافية تضيف إلى بناء الحضارة الإنسانية حجرا كريما نبع من عبقريتها فى الأمور الدينية والفلسفة والأخلاقية والاجتماعية والفنية والادبيه وطبع تطور الإنسانية بطابعها الفريد قرون عديدة وذلك بشهادة الدارسين .

والقضية التى نطرحها للبحث هى « تاريخ المنطق عند العرب » وتتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ الفكرى فى جانبه المنطقى عند العرب .

---

(١) الاسلام والحضارة ـ طبعة وزارة الثقافة ـ أحاديث اذاعية د. محمد خلف الله

وهذه القضية لابد وأن تتصل بالحضارة والتاريخ من ناحية ، وبالفكر والعلم والفلسفة من ناحية أخرى .

ولكي نقدم أحكاما موضوعية تقريرية بهذا الصدد ينبغي أن تتبين المسألة بعد جمع واحصاء الواقع وتفسير عنها . ولكن الأمر ليس بمثل هذه السهولة . لأن البحث يلزمنا بالاستدلال على أهم الوقائع واستنباطها ثم تأليفها تأليفا عقليا باعطائها وجودا فى الذهن . ونقول أن معظم الوثائق التى تناولها أيدينا بمثابة رموز ودلالات تفسر حقيقة وجود منطق عند العرب وتسجل تطور التفكير المنطق لديهم .

أن طرحنا للقضية السابقة هى محاولة لتاريخ المنطق عنـــد العرب فى ضوء معرفتنا الحاضرة لما هو ماض . وبالاستعانة بأبرز وأهم المراجع والوثائق لنستعيد وعى مرحلة مزدهرة من تاريخ الفكر عند العرب . . وينسحب هـذا على العنصر العربى وغيره على السواء . فيشمل العرب العاربة والعرب المستعربة .

والوثائق والمراجع التى متناول أيدينا أغلبها قديم وكتبه الشراح المتأخرون من الأرسطو طاليسين وغيرهم من العرب المسلمين وبعضها من الدراسات الحديثة والتحقيقات لرسائل أرسطو طاليس وكتبه المسماه بالأورجانون . وبعض المراجع الأجنبية واللاتينية .

---

(١) الشعوبية فى الاسلام مقال بالمجلة بقلم د. محمد عبد القادر حاتم

(٢) العلوم عند العرب للاستاذ قدرى حافظ طوقان الفقرة من ص١ الى ص١١

(٣) التراث اليونانى عند العرب د. عبد الرحمن بدوى

(٤) مسالك الثقافة الاغريقية أوليرى Olery

(٥) الجانب الالهى من التفكير الاسلامى د. محمد البهى جـ ١ الأول المقدمة

وقد تحددت عملية إختيار وانتقاء الوقائع التاريخية من أواخر القرن الثانى ثم عصر الترجمة والنقل إبان الدولة العباسية حتى القرن السادس الهجرى ، ونتناول فئات ومدارس المنطق العربى فى أنحاء العالم الإسلامى برمتـــه ونخص بالعرض الفلاسفة المشائيين والأصوليين والجدليين والعلماء . وخطة البحث العامـــة هى محاولة الفهم لتطور التفكر المنطق عن العرب بعد أن حدث اتصال ثقافى بين العرب وغيرهم من الأمم وخاصة اليونان .

فنقد أغرم النقلة بكتب أرسطو طاليس فى المنطق والفلسفة وقد عرفهـــا المفكرون العرب والمسلمون وتعمقوا فهمها وأتوا بجديد من وحى عبقريتهم التى قدمت الكثير للعلم والانسانية من كشف وابتكار .

وكثيرا ما كانت كتب أرسطو طاليس وأبحـــاثه فى المنطق والتى عرفت فيما بعد باسم الأورجانون عرضة للضياع والفساد والفناء وبالتالى تفقد معناهـا مغزاهـا .

ولعل النقلة والشراح من المتأخرين قد جعلوها صالحة للاستعمال وقد فحصت فى ضوء النقد العلمى المستنير وتحقق من كبير من الروايات عنها .

والقضية التى هى موضع البحث تتصل ببعض التعميمات والقضايا الكلية تبدو فى صورة أحكام .

ولغة المنطق محدودة ومنضبطة . ومنهج التفسير ضرورى للقضية التى نعرضها بالبحث إذ به نتأدى إلى تعليل ظاهرة نشأة المنطق عند العرب .

---

(١) تاريخ الفلسفة د. ابراهيم بيومى مدكور . د. يوسف كرم المقدمة .

(٢) المنطق التوجيهى د. أبو العلا عفيفى .

وبالتأكيد أن المنهج الأسبق كفيل بالوصول إلى الحقيقة والموضوعية .

إن التاريخ البشرى عبارة عن سجل حافل بالأحداث الإنسانية خلال مجرى الزمن أو طبقا للعصور المختلفة ، وقد تمثل فى هذا التقييم للعرب فى رأى هنرى بيومى (١) البلجيكى من أن العصور القديمة استمرت بعد سقوط روما فى أخلاق ومشاعر الناس ونظمهم إلى أن جاء الغزو العربى أوربا فوضع حدا للحضارة الرومانية وبدأت العصور الوسطى .

هذا من وجهة نظر مستشرق أوربى قصر تقسيم العصور التاريخية بالنظر إلى الشعوب الأوربية .

اننا ينبغى ونحن بصدد بحث القضية السابقة أن نضع فى الاعتبار البيئة والعصر والجنس والفكر الإنسانى . فنفهم المنطق عند العرب فى بيئة قد تفاعلت فيها مؤثرات ثقافية أخرى وفى عصر مزدهر قامت فيه أوسع وأكبر حركة للترجمة بفضل المقومات الأساسية للثقافة عند العرب ونسب ودين وثقافة وروابط اجتماعية .

هذه بعض معالم المنهج فى هذا البحث .

وبفضل هذا المنهج العلمى نتكشف معالم الحضارة عند العرب فى أبهى مظاهرها الفعلية التى لاتزال تحتاج إلى كشف ودراسة متعلقة فى ظل إزدهار الحضارة الغربية المعاصرة واتجاهنا نحو ثقافة الغرب ، ظل الاعتقاد السائد بأن الفكر

---

(١) تاريخ الفلسفة د. ابراهيم بيومى مدكور د. يوسف مكرم المقدمة

(٢) المنطق التوجيهى د. أبو العلا عفيفى

(٣) هنرى بيرن Henary Beurn (محمد وشارلمان)

والفلسفة والمنطق وقف على مفكرى اليونان الأقدمين ممثـــلا فى استاذهم ارسطو طاليس وورثة فكرهم فى العالم الغربى الحديث .

لـكنه لابد وأن تطرح القضية طرحا جديدا وأن تتعدل الحقائق من أساسها فى ضوء تجربة العالم المعاصر الذى أخـذ بنصيب وفير فى غـير الوعى بالحضارات العربية الأخرى .

فلقد كان الجانب العقلى لدى العرب والمسلمين (١) فى منزلة رفيعـــة وأكدت عناصره ومقوماته بواكير حركة النهضة الأوربية . وليس ثمة جدوى من الدراسة إلا بابراز واستقصاء الفكر المنطق من خلال كتابات المناقطقة والفلاسفة والجدليين والأصوليين والعلماء من العرب والمستعربين والمسلمين .

قد يكون للآداب والفنون والعلوم الأجنبية بعض الأثر فى حياتنا الروحيـة والعقلية. إلا أن تراثنا العربى والاسلامى كان من المرونة والسعة بحيث شمل تيارات فكرية وروحية عديدة . تمثل ذلك التجدد فى التراث وتلك الحيوية الخلاقة واصالته العريقة فحافظ على شخصيته وحين قامت حركة الترجمة والنقل منذ أواخر الخلافة الأموية فى نهاية القرن الثانى للهجرة اتصل العـرب والمسلمين بالثقافات الأجنبيـة من يونانية وهندية وفارسية وأفلاطونية (٢) . وانعكس هذا الإتصال لافى الحياة الأدبية وحدها بل جاوزه إلى الحياة الفكرية والروحية ولم يكن هـذا الاتصال إلا لونا من ألوان المعرفة التى اتجه إليهـا المسلمون والعرب بكل طاقاتهم ولم يكونوا فيها منفعلين فى قبولها بل كانوا أكثر فاعلية وفهما ووعيا لميادين الثقافة الأجنبية .

---

(١) د. محمد عبد الهادى أبو ريده ترجمة تاريخ الفلسفة فى الإسلام

(٢) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى أ. حسن ابراهيم حسن

ولو نظرنا إلى بعض كتب ومؤلفات طبقة المفكرين الذين كانوا عن قرب من هذا الاتصال الثقافى لوجدنا فى كلامهم علاقة أو إشارة عن تأثرهم بما لم يكن تراثا عربيا اسلاميا أصيلا . ولكن هذا لم يمحو التراث الفكرى الأصيل عند العرب والمسلمين .

ومرجع تلك الاصالة لا كما اتجه البعض إلى ارجاعها إلى دور النقلة . ولكن الأصالة التى عبرت عن تيار الفكر العربى والاسلامى تعبيرا صادقا إنما ترجع إلى المقومات الحضارية (١) والثقافية للامة العربية والإسلام والذى دفع بالعرب والمسلمين إلى البحث فى ميادين العلوم الفلسفية والعلوم العلمية ما يمكن أن نسميه بالبحث عن المعرفة والبحث عن المعرفة أيا كانت بحث فلسفى أصيل . والدوافع التى دفعت إلى قيام حركة الترجمة والنقل (٢) كانت دوافع نابعة عن الادراك والفكر العربى الإسلامى وقد وقفت إلى جانب هذه الدوافع بعض العوامل الخارجية التى بلورت الحركة العقلية فى الثقافة من التراث الأجنبى بأجلى معانيها (٣) .

وقد تصور البعض أن هذا الاتصال الثقافى القديم انما هو محو لثقافتنا وشخصيتنا وهذا التصور بعيد كل البعد عن فهم الثقافة العربية والاسلامية . لقد كان التيار الثقافى الجديد من القوة والقدرة والمرونة بحيث يخرج من الاتصال الثقافى بفهم أعمق وبادراك أوضح وبرغبة أكبر فى البحث عن المعرفة . وكان الإسلام دافعا قويا قدسيا للمعرفة ولم يكن الرسول (صلعم) يذهب إلى العنصرية أو المذهبية .

---

(١) تاريخ الفلك عند العرب د. امام ابراهيم أحمد (سلسلة كتب ثقافية)

(٢) عصر المأمون أحمد رفاعى المجلد الثانى

(٣) محمد رسول الله. مولاى محمد على ـ الفصل السابع عشر ص ١٠٦ ـ ص ١٠٧

ومن خلال الحقبة الزمنية التي حدث فيها الاتصال الثقافي (١) وما بعدها من أعوام حدث الكثير خرجت تيارات عديدة من الفكر وطوائف مختلفة تحولت فيها معالم البحث عن المعرفة والايمان وعن العدالة وكلهـــا ترتبط بعالمي الدنيا والدين ، وهذا ليس أمرا عجيبا أن نجد مسرح الفكر وقتئذ يمثل الصراع الكبير بين اتجاهات ومدارس الفكر العربي والاسلامي المختلفة .

ولقد تمثل في الحلقة العربية والإسلاميـة مايمكن تسميته بالعـرب المستعربة والعرب العاربة وكلها ارتبطت برباط مقدس هو العقيدة الإسلاميـة . ويتناول الدكتور الأهواني في كتابه (٢) « الفلسفة الإسلامية » هـذا الخـلاف بين الفلسفة العربية (٣) والفلسفة الإسلامية ويحاول أن يوفق بين وجهات النظـــر المتعارضة بصدد هذه التسمية .

نعود فنقول أنه بالرغم من الخلاف حول التسمية فإنه تجلت في هذه الطوائف أنماط وطرز الفكر المختلفة فيها ما يحق بالعقلانية وهذا هو تيار الفلسفة المشائيـة في الإسلام وفيها مايجسم المعاني الدينية وعنه صدرت فرق الغلاه (٤) والتيـــار الثالث كان تيارا ذوقيا صوفيا ذو مسحة أفلاطونية وتيار آخر هو التيار النقدي ، وقد تفرعت عنـــه مدارس الجدليون وتمثلت في المدرسة الأصوليـة المعتزلة والمتكلمة والفقهاء والأشاعرة في حركة مجددة تمت بأهل الصفة والمعرفة والعلماء بصلات وثيقة .

---

(١) مسالك الثقافة الاغريقية (أوليرى) مترجم

(٢) الفلسفة الإسلامية د. أحمد فؤاد الأهواني

(٣) الفلسفة العربية د. العوا

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الأسلام د. علي سامي النشار ـ المقدمة

وكل هذه التيارات محاولات لتفسير العلاقة بين عالم الدنيا وعالم الدين وهذا التفسير يمكن فهمه على أنه بحث فى المعرفة بأوسع معانيها وما تشمل عليه من علوم وكان لابد لهذه التيارات من طرائق ومناهج للبحث والحجاج وأخرى للكشف والاستنتاج بصدد حقيقة الصلة بين عالم الدين وعالم الدنيا ذلك الموقف وتلك العلاقة بين الله والإنسان فى إطار العالم المكانى وحدود الزمان ، وهنا ينطلق الفكر من العقلانية الأرسطية والمذهبية المدونية ، كما يتحرر من الدليل النقلى والمعنى الظاهرى .

وينظر إلى فهم المشكلة ويضعها وضعا جديدا بروح مستنيرة فى نظرة نقدية مؤمنة تحمى العقيدة وتحاول من أجلها وتمنح النفس الايمان والثقة والطمأنينة عملا بالقول السائد ، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، وهذه الثنائية فى أصول الجدل النقدى المعتزلى والجدلى تحمل فهما وإيمانا عقلا وقلبا ، دليلا تعليميا وآخر عقليا .

ولم أجد من بين هؤلاء المفكرين الممثلين لأبرز التيارات الفكريين فى التراث العربى والحضارة العربية من رواد الفكر وقادته فى العقيدة من هو أقدر من الفلسفة والأصوليين والمتكلمين والجدليين والعلماء .

فقد كان لهم الأثر فى مجامع الفكر الإسلامى والحضارة العربية على قياس مدرسة أثينا أو مدرسة الاسكندرية أو مدرسة طليطلة وقشتالة وأسكوريال .

وحينما كنت بصدد اعداد البحث النهائى صدر كتيب للاستاذ الدكتور زكى نجيب محمود وهو « الشرق الفنان »(١) فأثار كتيبه هذا الشىء الكثير ولما فيه من

---

(١) الشرق الفنان د. زكى نجيب محمود .

صلة بموضوع البحث الذى نحن بصدده نعرض لقضية هامـــة من ضمن الخطة العامة للبحث فقد عرض القول بالنزعة التى تفرق بين الحضارات الإنسانية وبين حضارة الشرق وبين حضارة الغرب ، يعرض لهـذين الطريقين ويخص بالشرق القديم تلك البلاد القصية وتتمثل فى حضارة الهند والصين . بينما يقصد بالغـرب أوربا وأمريكا ، وأساس الاختلاف بين الحضارات الانسانية أساس معرفى فلسفى فى نظريته وشموله وموضوع هذه المعرفة هو الوجود برمته والطابع التفسيرى(١) لمعرفة هذا الوجود .

فالشرق فى رأيه يتسم بطابع الذى ينظر الوجود الخارجى (٢) ببصيرة ذواقة تنفذ إلى أعماق الظواهر المحسوسة ، فهو ذو نظرة مفهومية تلتزم بالجوهر والماهية . والانا أو الذات هنا تعيش تجربة ذواقية وليست هـذه السمة فريدة فى إدراك لون من ألوان المعرفة دائما هى الطابع العام لشتى ألوان معرفة العلم والفلسفة .

أما الغرب فطابعه العام النظرى إلى الوجود فتتناول الظواهر الحية مشاهدا لها بمعطياته الحسية فيحللها ويتوصل إلى أطراف الظواهر على صورة معينة ويحملها فى قوانين فيتأدى إليها بمنهج للبحث من مقدمات صحيحة يقينية إلى نتائج صحيحة وهذه هى السمة المميزة له فى العلم وألوان التفكير والعمل .

ويبين الطرفين السابقين وسط يجمـع بين طابعهما هو الشرق الأوسط مهبط الديانات وملتقى التيارات الحضارية فى عصر التاريخ البعيدة وفيه التقت وتجاوزت تيارات الدين والعلم والفكرة والعمل .

---

(١) ابراهيم بن سيار النظام والمدرسة النقدية فى الإسلام بحث للمؤلف

(٢) الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرية . عباس محمود العقاد

فليس ثمة غرابة فى أن يكون مهبطا للديانات جميعا . ومنبعا أصيلا للفكر الانسانى (١) العالمى يخاطب العقل والقلب . . يتناول العقيـــدة بمنطق ويؤمن بالعقل ولا ينكره ويسلم بالتوحيد فى نظرة ثنائية نادرة مزدوجـــة تطابق بين الفكر والواقع بين الوجود والحقيقة بين عالم الأشياء فى ذاتها وعالم الأشياء لا يباعد بين الإنسان العالم وبين رجل الدين ولا يفصم عروة المعرفه . فهو يؤمن بالتوحيد فى الفكر والواقع فى نظرة الإنسان إلى الوجود فى معرفة وإدراك العـــالم الملىء بالظواهر والأحداث .

وليس غريبا أيضا أن نجد حياة المفكر فى عالمنا الوسط . ليس غريبا وليس بمستغرب أن نجده متصرفا مقبلا على الحياة عالما بأمور الدنيـا والدين . بارعا فى طبه وصناعته مدققا فى بحثه ومنطقه . شاعرا وأديبـــا وفنانا مذوقا ولأعماق الوجود والأشياء فى العالم مكتشفا ومجربا لتجربة الوجد .

والذى يهمنا من وجهة النظر التى يقول بها الأشيـاء السالف الذكر هى أنهـا وجهة نظر مقبولة ومؤيدة بالشواهد مدعمة بالحجة . . والاستدلال من حيث أن فكرنا وفلسفتنا وعلمنا فى طابعه العام لم يخرج عن هذا النمط وهذا الطراز الحضارى المميز الذى يدل دلالة قاطعة على شخصيتنا الحضارية المميزة بميزة نادرة . بل أن جائز لنا أن نكتشف هذه الشخصية فاننا نتبينها من خلال الفكر الذى يمثـل أروع نتاج وتراث إنسانى لحضارة الشرق الأوسط التى نهتم بهـــا فى موضوع بحثنا هذا (٢) لأننا لو حاولنا أن نكتشف الطابع المميز فانا لابد أن نتبينه من خـلال

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه . المقدمة عباس محمود العقاد

(٢) ليكلسون